نماذج من المصطلحات القرآنية المستعملة عند المؤرخين القدامى

إعداد

د. محمد موسى الشريف

باحث أكاديمي في العلوم الشرعية، ومشرف على موقع التاريخ – جدة السعودية

المؤتمر العالمي الرابع للباحثين في القرآن الكريم وعلومه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن العظيم معجز في بلاغته، مؤثر على مَن سمعه أيما تأثير، وقد عمد كل مَن صنف من أسلافنا إلى القرآن العظيم فاستفاد منه فضمن آيات من آياته في تصانيفه، واقتبس من ألفاظه، وجرى على مصطلحاته، وهذا نجده واضحاً في مصنفات مَن صنف منذ القرن الثالث للهجرة النبوية الشريفة.

وليس المصنفون في علم التاريخ ببدع من المصنفين ولا ببعيدين عن نهج المؤلفين، فوُجد في مصنفاتهم هذا التأثر بأسلوب القرآن وألفاظه ومصطلحاته، وهذا البحث الموجز يبين شيئاً من ذلك التأثر ويوضح جانباً من عنايتهم بأسلوب القرآن العظيم، وسآتي على أمثلة من مصنفات المؤرخين لتكون شاهدة على استفادتهم من أسلوب القرآن العظيم، ومصطلحاته وألفاظه.

والحمد لله رب العالمين.

من الألفاظ القرآنية التي استعملها المؤرخون لفظ:

1. استخلف :

قال الأصفهاني:

"وكان أوّل شيء أحدث الحسن أنه زاد المقاتلة «7» مائة مائة، وقد كان عليّ فعل ذلك يوم الجمل، والحسن فعله على حال الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعد ذلك"[1].

وقال الإمام أبوشامة المتوفى سنة 665 نقلاً عن القاضي الفاضل:

[1] – مقاتل الطالبيين (ص: 64).

"الْحَمد لله الَّذِي أنْجز لِعِبَادِهِ الصَّالِحين وعد الِاسْتِخْلَاف، وقهر بِأَهْل التَّوْحِيد أهل الشّرك وَالْخلاف، وَخص سُلْطَان الدِّيوَان الْعَزِيز بِهَذِهِ الْخلَافَة، وَمكن دينه المرتضى وَبدل الْأَمْن من المخافة"[1].

وقال ابن خلدون المتوفى سنة 808 رحمه الله تعالى:

" أنّ الإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الّذي خلق له، والرّئيس إذا غلب على رئاسته وكبح عن غاية عزّه تكاسل حتّى عن شبع بطنه وريّ كبده، وهذا موجود في أخلاق الأناسيّ"[2].

وقال أيضاً:

"وسخّر لكم البحر وسخّر لكم الفلك وسخّر لكم الأنعام. وكثير من شواهده. ويد الإنسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف" [3].

– ومن الألفاظ القرآنية كذلك لفظ:

2. استعمر:

وقال أبو الحسن الهلالي ابن محسن الصابئ المتوفى سنة 448هـ:

"الحمد الله الذي استعمر عباده في أرضه ليخرج رزقهم منها وليكفتهم فيها"[4].

وقال الإمام أبو شامة:

"وَكَانَ الْكتاب الَّذِي بعث بِهِ صَلَاح الدّين من إنْشَاء الأديب عبد الرَّحِيم البيساني الْمَعْرُوف بِالْقَاضِي الْفَاضِل وَكَانَ عنوان الْكتاب من صَلَاح الدّين إِلَى أَمِير الْمُسلمين وَفِي أَوله: الْفَقِير إِلَى الله تَعَالَى يُوسُف بن أَيُّوب وَبعده الْحَمد لله الَّذِي اسْتعْمل على الْمِلَّة الحنيفة من استعمر الأَرْض وأغنى

---

1 – الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (3/ 346).

2 – تاريخ ابن خلدون (1/ 185).

3 – تاريخ ابن خلدون (1/ 477).

4 – تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء (ص: 214).

من أَهلهَا من سَأَلَهُ الْقَرْض، وأجزل أجر من أجْرى على يَده النَّافِلَة وَالْفَرْض وزان سَمَاء الْمِلَّة بدراري الذَّرَارِي الَّتِي بَعْضهَا من بعض"[1].

– ومن الألفاظ القرآنية كذلك لفظ:

3. أنباء :

وقال الإمام أبوشامة رحمه الله:

"وَقد اخْتَار الله سُبْحَانَهُ لنا أَن نَكُون آخر الْأُمَم، وأطلعنا على أنباء من تقدم لنَّتعظ بِمَا جرى على الْقُرُون الخلية"[2].

وقال أيضاً:

"وَله فَضَائِل ومناقب لَا تحصى، وَمِنْه كَانَ الْإِسْرَاء، ولأرضه فتحت السَّمَاء، وَعنهُ تُؤثر أنباء الْأَنْبِيَاء وآلاء الْأَوْلِيَاء"[3].

وقال أيضاً:

"وَقد عُرف مَا جرى فِي سير الْأَوَّلين وَفِي أنباء النَّبِيين"[4].

تاريخ ابن خلدون (5/ 559)

وقال ابن خلدون رحمه الله تعالى:

"عميت عليهم أنباء منطاش والعساكر وبعثوا من يقتص لهم الطريق ويسائل الركبان"[5].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

"يحدث الناس عن أنباء مَا قَدْ سَبَقَ"[6].

وقال الشيخ خالد الناصري:

"وانقطعت عَنْهُم الْمَوَاد وعميت عَلَيْهِم الأنباء إِلَّا مَا يَأْتِيهم بِهِ الْحمام من جبل طَارق"[1].

---

1 – الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (4/ 196).

2 – الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (1/ 24).

3 – الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (3/ 337).

4 – الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (4/ 188).

5 – تاريخ ابن خلدون (5/ 559).

6 – البداية والنهاية (6/ 144).

وقال أيضاً:

"وَفِي هَذِه الْأَيَّام عميت الأنباء وتكالبت فِي الْبر وَالْبَحْر الْأَعْدَاء وَاخْتلفت الْفُصُول والأهواء وعاقت الْوَارِد الأنواء"[2].

وقال أيضاً:

"كَانُوا قد عميت عَلَيْهِم الأنباء بِقطع الْمَنْصُور للسابلة"[3].

وقال الإمام السيوطي المتوفى سنة911 رحمه الله تعالى:

"وهلك من هلك فيه من الأبرار، ولربما سمعت هذا القول فظننته مما تَجَوَّزَ في مثله القائلون، وليس كذلك بل هو نبأ عظيم أنتم غافلون"[4].

وقال عبد الملك بن حسين العصامي المتوفى سنة 1111رحمه الله تعالى:

"وَهُوَ وَالله بعد هَذَا لَهُ نبأ عَظِيم وخطر جليل جسيم"[5].

وقال أيضاً:

"قلت فَمن أَيْن اتَّصل نبأ هَذَا الْخَبَر وَالْحَالة هَذِه وَقد اخْتلف الْعُقَلَاء"[6].

وقال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي المتوفى سنة 768 رحمه الله تعالى:

"وكل مجرى في الخلاء يستر، ولكل نبأ مستقر "[7].

– ومن الألفاظ القرآنية كذلك لفظ:

4. الأولين:

وقال عماد الدين الأصفهاني المتوفى سنة 597 رحمه الله تعالى:

---

[1] – الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (3/ 51).

[2] – الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (3/ 168).

[3] – الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (5/ 175).

[4] – حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (2/ 156).

[5] – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (1/ 429).

[6] – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (3/ 303).

[7] – مرآة الجنان وعبرة اليقظان (2/ 329).

"كتبي إِلَى الْمقَام الناصري أعز الله نَصره فِيهَا أساطير الْأَوَّلين الَّتِي تملى بكرَة وَأَصِيلاً، وَأَحَادِيث الآخرين الَّتِي جوابها أَشد وطأ وأقوم قيلاً"[1].

– ومن الألفاظ القرآنية كذلك لفظ:

5. أيام اللّه :

وقال الإمام ابن عبد البر المتوفى سنة 463 رحمه الله تعالى:

"فهذه مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعوثه وسراياه التى أعز الله بها الدين ودوخ بها الكافرين، وشد أزره فيها بمن اختاره لصحبته ونصرته من الأنصار والمهاجرين رضي الله عنهم أجمعين، وتلك أيام الله التى يجب بها التذكر والتذكير، ويتأكد شكر الله سبحانه على ما يسرته منها المقادير"[2].

– ومن الألفاظ القرآنية كذلك لفظ:

6. سنة اللّه :

وقال المطهر بن طاهر المقدسي المتوفى سنة 355 رحمه الله تعالى:

"واستنجز العدّة فيهم سنّة الله في الذين خلَو من قبل، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً، زعموا أنّ هذه الدنيا قديمة لم تزل"[3].

وقال الإمام ابن الأثير المتوفى سنة 620 رحمه الله تعالى:

"وَكَانَتْ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ إِذَا مَلَّكَ عَلَيْهِمْ مَلِكًا أَرْسَلَ مَعَهُ نَبِيًّا يُرْشِدُهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى أَحْكَامِ التَّوْرَاةِ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَسِيرِ بُخْتُنَصَّرَ إِلَيْهِمْ كَثُرَتْ فِيهِمُ الْأَحْدَاثُ وَالْمَعَاصِي"[4].

وقال أيضاً:

"فِيهَا لِلْقَادِرِ بِاللَّهِ، وَكَانَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ لَا يُخْطَبُ لَهُ فِيهَا، إِنَّمَا كَانَ يُخْطَبُ) لِلطَّائِعِ لِلَّهِ، وَاسْتَقَلَّ بِمُلْكِهَا مُنْفَرِدًا، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ"[1].

---

[1] – البرق الشامي (3/ 124).

[2] – الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والثلاثة الخلفاء (1/ 586).

[3] – البدء والتاريخ (1/ 118).

[4] – الكامل في التاريخ (1/ 230).

وقال الإمام الذهبي المتوفى سنة 748 رحمه الله تعالى:

"وكذا سُنّة الله في كلّ مِن ازدرى العلماء بقي حقيراً"[2].

وقال ابن خلدون رحمه الله تعالى:

"إن لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظّ من الدّنيا في عاجله، ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تمّ أمره وانفسحت دعوته؛ سنّة الله الّتي قد خلت في عباده" [3].

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

"فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدّول، سنّة الله الّتي قد خلت في عباده، وقد كانت في العالم أمم الفرس الأولى والسّريانيّون والنّبط والتّبابعة وبنو إسرائيل والقبط وكانوا على أحوال خاصّة بهم في دولهم وممالكهم وسياستهم وصنائعهم"[4].

وقال أيضاً:

"فلا يزال الملك ملجئا في الأمّة إلى أن تنكسر سَوْرة العصبيّة منها أو يفنى سائر عشائرها، سنّة الله في الحياة الدّنيا"[5].

وقال أيضاً:

"وكذا اليونانيّون انقرض أمرهم وانتقل إلى إخوانهم من الرّوم، وكذا البربر بالمغرب لمّا انقرض أمر مغراوة وكتامة الملوك الأُوَل منهم رجع إلى صنهاجة ثمّ الملثّمين من بعدهم ثمّ من بقي من شعوب زناتة، وهكذا سنّة الله في عباده وخلقه، وأصل هذا كلّه إنّما يكون بالعصبيّة وهي متفاوتة في الأجيال، والملك يخلقه التّرف"[6].

---

1 – الكامل في التاريخ (7/ 503).

2 – تاريخ الإسلام (13/ 256).

3 – تاريخ ابن خلدون (1/ 36).

4 – تاريخ ابن خلدون (1/ 38).

5 – تاريخ ابن خلدون (1/ 183).

6 – تاريخ ابن خلدون (1/ 183).

وقال أيضاً:

"ولم ينقص أمر جميعهم إلّا بعد الأربعمائة من الهجرة، ودولة العبيديّين كان أمدها قريباً من مائتين وثمانين سنة، ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقليد معزّ الدّولة أمر إفريقية لبلكين بن زيري في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة إلى حين استيلاء الموحّدين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة، ودولة الموحّدين لهذا العهد تناهز مائتين وسبعين سنة، وهكذا نسب الدّول في أعمارها على نسبة القائمين بها، سنّة الله الّتي قد خلت في عباده"[1].

وقال أيضاً:

"فلمّا صارت الدّولة للانفراد بالمجد وكبح العرب عن التّطاول للولايات صارت الوزارة للعجم والصّنائع من البرامكة وبني سهل بن نوبخت وبني طاهر ثمّ بني بويه وموالي التّرك مثل بغا ووصيف وأتلمش وابن طولون وأبنائهم وغير هؤلاء من موالي العجم فتكون الدّولة لغير من مهّدها والعزّ لغير من اجتلبه، سنّة الله في عباده والله تعالى أعلم"[2].

وقال أيضاً:

"وتجيء العصبيّة المفضية إلى الهرج والقتل فوجب أن يرجع في ذلك إلى قوانين سياسيّة مفروضة يسلّمها الكافّة وينقادون إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم، وإذا خلت الدّولة من مثل هذه السّياسة لم يستتبّ أمرها ولم يتمّ استيلاؤها، سنّة الله في الّذين خلوا من قبل"[3].

وقال أيضاً:

"وأهل الدّولة المستجدّة بمعزل عن ذلك لما هم فيه من البداوة وأحوال الفقر والخصاصة فيسبق إلى قلوبهم أوهام الرّعب بما يبلغهم من أحوال الدّولة المستقرّة ويحرمون عن قتالهم من أجل ذلك، فيصير أمرهم إلى المطاولة حتّى تأخذ المستقرّة مأخذها من الهرم ويستحكم الخلل فيها

---

1 – تاريخ ابن خلدون (1/ 205).

2 – تاريخ ابن خلدون (1/ 230).

3 – تاريخ ابن خلدون (1/ 238).

في العصبيّة والجباية، فينتهز حينئذ صاحب الدّولة المستجدّة فرصته في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة، سنّة الله في عباده.." [1].

وقال أيضاً:

"فمكثوا يطاولونهم نحوا من ثلاثين سنة واستولوا على فاس واقتطعوها وأعمالها من ملوكهم، ثمّ أقاموا في محاربتهم ثلاثين أخرى حتّى استولوا على كرسيّهم بمراكش -حسبما نذكر ذلك كلّه في تواريخ هذه الدّول- فهكذا حال الدّول المستجدّة مع المستقرّة في المطالبة والمطاولة، سنّة الله في عباده ولن تجد لسنّة الله تبديلاً"[2].

وقال أيضاً:

"هكذا سنّة الله في خلقه وللبادية منهم مع من يجاورهم من الأمم حروب ووقائع في كل عصر وجيل بما تركوا من طلب المعاش، وجعلوا طلب المعاش رزقهم في معاشهم بترصد السبيل وانتهاب متاع الناس.

ولما استفحل الملك للعرب في الطبقة الأولى للعمالقة، وفي الثانية للتبابعة، وكان ذلك عن كثرتهم فكانوا منتشرين لذلك العهد باليمن والحجاز ثم بالعراق والشام"[3].

وقال أيضاً:

"درج العرب أهل الحماية في القهر واختلطوا بالهمج، ولم يراجعوا أحوال البداوة لبعدها، ولا تذكّروا عهد الأنساب لدروسها، فدثروا وتلاشوا شأن من قبلهم وبعدهم، سُنَّةَ الله الَّتِي قَدْ خَلَتْ من قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلًا"[4].

وقال أيضاً:

"في سنّة الله التي لا تحول ولا تبدّل، والمتعارف من عادته التي ربطها بحكمته التي تُعدِّل ولا تُعَدَّل، أن لكل هداية نبويّة ضلالة فرعونيّة، وكذا الحال في الأولياء، ومع كل مصيبة فرج، ولا

---

1 – تاريخ ابن خلدون (1/ 373).

2 – تاريخ ابن خلدون (1/ 375).

3 – تاريخ ابن خلدون 21/ 283).

4 – تاريخ ابن خلدون (6/ 4).

ينعكس الأمر في الأتقياء. ولكلّ ظلم ظالم متجبّر قهر قاهر متكبّر، وعند ظهور ظفر المبطل يظهر قصد المحق المفضل"[1].

وقال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى:

"وقد قيل: إن وفاة المستكفي كانت سنة إحدى وأربعين، فعلى هذا لم يتم الحول على الناصر، حتى مات بعد ثلاثة أشهر؛ سنة الله فيمن مس أحدًا من الخلفاء بسوء، فإن الله يقصمه عاجلا، وما يدخره له في الآخرة من العذاب أشد"[2].

وقال الشيخ خالد الناصري رحمه الله تعالى:

"وَمِمَّا خَاطب بِهِ الْوَزير الْمَذْكُور عبد الْمُؤمن مستعطفا لَهُ من رِسَالَة تغالى فِيهَا فغالته الْمنية وَلم ينل الأمنية، وَهَذِه سنة الله تَعَالَى فِيمَن لَا يحترم جناب الألوهية، وَلم يحرص لِسَانه من الْوُقُوع فِيمَا يخدش فِي وَجه فضل الْأَنْبِيَاء"[3].

وقال أيضاً:

"ونسأله -وطالما بلغ السَّائِل سؤلا ومأمولاً- متاباً صَادِقاً على مَوْضُوع النَّدَم، مَحْمُولا ثمَّ عزاء حسناً وصبراً جميلاً عَن أَرض أورثها من شَاءَ من عباده معقبا لَهُم ومديلاً وسادلاً عَلَيْهِم من ستور الْإِمْلَاء الطَّوِيلَة سدولاً ،سنة الله الَّتِي قد خلت من قبل وَلنْ تَجِد لسنة الله تبديلاً"[4].

– ومن الألفاظ القرآنية كذلك لفظ:

7. سنن :

وقال الواقدي رحمه الله تعالى:

"ويتبع سنن المؤمنين المجاهدين، وما أمر به سيد المرسلين مما أنزل عليه رب العالمين"[5].

وقال الإمام الطبري المتوفى سنة 310 رحمه الله تعالى:

---

1 – تاريخ ابن خلدون (6/ 409).

2 – حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (2/ 68).

3 – الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (2/ 132).

4 – الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (4/ 131).

5 - فتوح الشام (2/ 89).

"وسن سنن الفساد التي عليه إثمها واثم من عمل بها الى يوم القيامه"[1].

وقال الإمام ابن كثير المتوفى سنة 774 رحمه الله تعالى:

"وَلَكِنَّهَا سُنَنٌ مِنَ اللَّهِ عَادِلَةٌ، أَمَرَ فِيهَا بِطَاعَتِهِ، وَنَهَى فِيهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ"[2].

– ومن الألفاظ القرآنية كذلك لفظ:

8. فئة.

قال ابن القلانسي المتوفى سنة 555 رحمه الله تعالى:

"فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين، أما رأيت الأمم الماضية الذين عادوا الدولة ونصبوا لها العداوة الشديدة، انظر إلى ديارهم كيف"[3].

– ومن الألفاظ القرآنية كذلك لفظ:

9. المثلات :

ومفردها: المُثُلة، ولم تأت في القرآن مفردة.

ومعناها: العقوبة والتنكيل[4].

وقال الإمام الطبري في تفسيره: المَثُلات: العقوبات المُنَكِّلات.

وقال أبوشامة رحمه الله تعالى:

"وَمِمَّا جرى فِي هَذِه الْمدَّة من المثلات الْجَارِيَة والمعضلات العادية بَأْس من الله طرق بياتا وَنحن نيام، وَظن النَّاس أَن الْيَوْم الْمَوْعُود قد طرق فِي اللَّيْل الْمَمْدُود؛ فَإِذا هم قيام، إِن الله تَعَالَى أَتَى بساعة كالساعة، كَادَت تكون للدنيا كساعة فِي الثُّلُث الأول من لَيْلَة الْجُمُعَة تَاسِع عشري جُمَادَى الْآخِرَة، وَذَلِكَ أَنه أَتَى عَارض فِيهِ ظلمات متكاثفة، وبروق خاطفة، ورياح عَاصِفَة قوي ألهوبها وَاشْتَدَّ هبوبها وَارْتَفَعت لَهَا صعقات"[5].

---

1 - تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (10/ 59).

2 - البداية والنهاية (9/ 199).

3 – تاريخ دمشق (1/ 123).

4 – المعجم الوسيط: م ث ل.

5 – الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (4/ 437).

وقال ابن خلدون رحمه الله تعالى:

"وكان عبد الله بن يغمور المباشر لقتله، وكان خبره من المثلات، واستبدّ السلطان بملكه، وتلقّب المستنصر باللّه، وبادر الناس إلى الدخول في طاعته"[1].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى:

"وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعًا مِنَ الْعُقُوبَاتِ، وَصُنُوفًا مِنَ الْمُثُلَاتِ، وَأَشْكَالًا مِنَ الْبَلِيَّاتِ"[2].

وقال أيضاً:

"فنفى عن نفسه هذه الخصلة القبيحة الشنيعة، والفاحشة المذمومة، التي عذب الله أهلها بأنواع العقوبات، وأحل بهم أنواعاً من المثلات، التي لم يعاقب بها أحداً من الأمم السالفات"[3].

وقال أيضاً:

"فَأُخَذُوا بِالْمُصَادَرَاتِ وَالضَّرْبِ وَالْعُقُوبَاتِ وَأَنْوَاعِ الْمُثُلَاتِ"[4].

---

1 – تاريخ ابن خلدون (6/ 447).

2 – البداية والنهاية (1/ 189).

3 – البداية والنهاية (9/ 204).

4 – البداية والنهاية (14/ 186).